دور الآبار في التاريخ القديم والإسلامي

أ.م.د علي حسين علي
خالد علي خطاب
جامعة كركوك/ كلية التربية

المقدمة

تُعد المياه بصورة عامة ومياه الآبار بصورة خاصة شريان من شرايين الحياة وعنصراً مهماً ومصدراً من مصادر اقتصاد المدن قديماً وحديثاً، إذ إنها تزود البلاد بالماء الصالح للاستخدام بشتى المجالات سواءً للشرب أم للطهي أم لسقي النبات أم لورود الحيوان فهي مورداً مهماً لجميع الكائنات الحية سواءً كان إنسان أم حيوان أم نبات لذا كثر ذكرها في الكتابات المسمارية واهتم الملوك القدامى بحفر الآبار بمختلف أشكالها ففي التاريخ القديم وخاصة في المدن والعواصم العراقية القديمة وبمختلف العصور كالعصر السومري والآشوري والبابلي إشارات عن ذلك وقد يكون حفر البئر في تلك المدن لحاجة ضرورية خشية سيطرة الأعداء على النهر فعدها يلجأ الناس الى تلك الآبار، فكانت الآبار مبنية بصفة دائرية من الأعلى الى الأسفل كما هو مشاهد في مدينة آشور ونينوى إلى الآن. ففي هذا البحث تطرقنا عن البئر لغة واصطلاحاً، وما المسميات الأخرى التي اطلقت على البئر؟، كما قمنا بذكر الآلات المستخدمة في سحب المياه فمنها الدلو والدالية والبكرة والناعور وغيرها. فاهتم ملوك العراق بحفر الآبار في مدنهم ولأهمية البئر آنذاك بالغوا بحفر الآبار حتى في البيوت فلا يعد البيت صالحاً للسكن حتى يكون فيه بئراً، وكان هناك أشخاصاً اشتهروا بصفة الحفر حتى اطلق عليهم بـ " حفاروا الآبار".

أما ما يخص التاريخ الإسلامي فهناك الكثير من الآبار الشهيرة كآبار المدينة المنورة ومنها بئر أريس وبئر أنا وبئر البصة وبئر بُضاعة وبئر رومة وغيرها. وهناك آبار لمكة المكرمة أيضاً وأشهرها في التاريخ بئر زمزم فسنقتصر في حديثنا عن الآبار في الفترة الإسلامية عن بئر زمزم لما لهذا البئر من أهمية كبيرة وجذور بعيدة كون أصله يخص التاريخ القديم ونقصد بها فترة نبي الله إبراهيم عليه السلام ثم دوره في الجاهلية وأخيراً تعظيم الإسلام له بأحاديث كثير سنذكرها في مضمون البحث.

واقتصرنا عند ذكر بئر زمزم على موضوع حفرها، ومتى جدد ذلك الحفر مرة أخرى؟ وما هي الأحاديث التي ذكرت فضلها؟.

البئر في اللغة والاصطلاح

البئر لغةً: بهمزةٍ بعد الباء، وجمعها بئار وآبار، وعندما تُقلب الهمزة يقال آبار، فإذا كثرت فهي البئار، وإذا قلت فهي أبور، والذي يقوم بحفر البئر يطلق عليه بار أو آبار، فيقال بأرت بئرا، أي قمت بحفرها، واشتقاق ذلك من بأرت الشيء، وابتارته إذا خبأته أو إدخرته.

أما البئر اصطلاحاً: فهي حفائر تحفر في الأرض حتى ينبع الماء من أسفلها، ويرتفع حتى يبلغ أعلاها، فيقال: نبط الماء إذا نبع، أي إنه هو الماء الذي ينبط من قعر البئر إذ حفرت، فإذا حفرت حتى ينبع الماء قيل: انبطها أي معنى استخرجها[١].

أسماء الآبار

هناك عدة تسميات للبئر منها البئر، والجب، والقليب، والرَس، والركية، والكرة، والحسي. وتأتي البئر، والجُب[٢]، والقليب، والرس، والركية بمعنى البئر الكبيرة. وتأتي الكرة، والحسي بمعنى الكرة الصغيرة[٣].

أما كلمة بئر فقد وردت في اللغة الأكدية بصيغة (أبّارُ appāru)[٤] وتعني (مستنقع). إلا إنها قريبة في اللغة العربية من لفظة (آبار).

الآبار في التاريخ قديم

١-الآبار في العصور السومرية:

تتضح أهمية مياه الآبار وخاصة في ظروف الحصار على سبيل المثال من خلال ما جاء على لسان كَلكَامش في القصيدة المعروفة (أجا وكَلكَامش)، حيث تعكس حالة الحصار الذي فرضه حاكم مدينة كيش على مدينة الوركاء، ودعوة كَلكَامش سكان مدينته لحفر الآبار، وفيما يأتي نص ما ورد بهذا الخصوص على لسان كَلكَامش:

" **لنكمل الآبار، لنكمل آبار البلاد جميعها، لنكمل الآبار، تجاويف الأرض الصغيرة. لنحفر الآبار، ولننجز شد الحبال علينا أن لا نستسلم لبيت (كيش) ولنضربه بالسلاح ...**" .

---

(١) الشرابي، نهال خليل ويعرب ياسين ابراهيم، آبار المدينة المنورة، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد ١٨، عدد ٦، ٢٠١١، ص٣٣٨.

(٢) ورد ذكر الجُبُ منذ العصر الآشوري الوسيط وبالتحديد منذُ زمن نبي الله يوسف عليه السلام حيث قص لنا ذلك القرآن الكريم بقولهِ تعالى ﴿ **قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ سورة يوسف، أية: ١٠.

(٣) الشرابي، المصدر السابق، ص٣٣٨.

(٤) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكدية– العربية، ط١ ، أبو ظبي، ٢٠١٠، ص٢٢٣.

ونظراً لحاجة المجتمع الماسة للمياه على الدوام وتحسباً لأي ظرفٍ طارئ، فقد بات من الضروري الاهتمام بحفر الآبار في مختلف المرافق البنائية وفي مقدمتها بيوت العبادة وتلك التابعة للملك وحاشيته، وقد يتوضح هذا الاهتمام بحفر الآبار في المراكز الدينية بما نقرأه من مقتطفات من نص لـ(أياناتم) حاكم مدينة لكَش، جاء فيه: "**إياناتم إنسي "لكَش" الذي مُنِحَ القوة من قبل "أنليل"، في ذلك الوقت حفر بئراً وشيد "جدرانها" بآجر مفخور لـ"ننكَرسو" (إله مدينة لكَش) في باحة معبده الواسعة...**" .

وفي نصٍ آخر لحفيده أنتمينا الذي تولى الحكم فيما بعد نقرأ فيه: "**... لقد شيد "أنتمينا" أنسي "لكَش" قصر "إنتاسورا" لـ "ننكَرسو" وزينه بالذهب والفضة، لقد أقام له حديقة... وحفر آباراً (شيد جدرانها) بالآجر المفخور...**".

ويبدو واضحاً من هذه النصوص مدى اهتمام الملوك بحفر الآبار وإقامتها بوصفها جزءاً من مرافق البناء الحيوية(١).

وجاءنا في النص أن جلجامش قام بحفر الآبار في سفوح الأراضي المرتفعة:

su-u DGIS.GIN. MAS git-ma-lu ra-sub-bu BAD-u ne-re-be-e-ti sa hur-sa-a-ni he-ru-u bu-u-ri sa GU KUR-I e-bir A.AB.BA ta-ma-ti DAGAL-ti EN D. UTU.E ha-a-a-ti….

"جلجامش الكامل القوة الراضع حليب البقرة الوحشية، الالهة ننسن، جلجامش الطويل الرائع والمخيف الذي فتح الممرات في الجبال وحفر الابار في سفوح الاراضي المرتفعة وعبر البحار الواسعة حتى مشرق الشمس..."(٢).

٢-الآبار في العصور الآشورية:

ويستدل من بعض النصوص الأدبية على ما يشير أيضاً إلى أن الآبار كانت تمثل أحد المصادر الحيوية لتجهيز الحدائق والبساتين بما تحتاجه من المياه، ومن ذلك نقرأ ما جاء بهذا الخصوص في نص طريف ما يأتي: " **دخل ثعلب مدينة آشور. وسقط في بئر حديقة الإله آشور**".

وفي بلاد آشور تدل الشواهد الأثرية على ظاهرة انتشار العديد من الآبار في القصور الملكية والمعابد والبيوت السكنية، وأشهر تلك الآبار تم اكتشافها في مدينة نمرود حيث عثر المنقبون في قصر الملك آشور- ناصر- آبلي الثاني على بئرين تم بناؤهما بدقة متناهية يعود أحدهما إلى

(١) عبدالرحمن، عبدالرحمن يونس، المياه في حضارة بلاد الرافدين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، موصل، ٢٠١٠، ص٥٤.

(٢) الجبوري، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، موصل، ٢٠٠٦، ص٢٢١.

عهد الملك آشور- ناصر- آبلي الثاني، وكان يمثل المصدر المائي الرئيسي للجناح الملكي، والثاني يعود بنائه على الأرجح إلى عهد الملك شلمان- آصر الثالث. ويبدو أنه ظل في الاستخدام ما يقارب قرن من زمن إنشائه قبل تعرض القصر إلى حالة النهب والسلب والتخريب.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً في هذا الصدد أن أحد الآبار المكتشفة في نفس المدينة نمرود كان لا يزال مستمراً في طاقته الإنتاجية من المياه إلى عام ١٩٥٢م، وبمعدل (٥٠٠٠) غالون يومياً[١]، وهذا يفسر مدى الأهمية التي كانت عليها الآبار كمصدر مهم لتجهيز المدن ومرافقها الحيوية بالمياه، وقد تجتمع مجموعة من الآبار لتؤدي هذا الغرض كما يوضح ذلك النص الآتي: "ما مجموع ٣٢ بئراً تجهز المدينة بالمياه".

وهناك ما يشير إلى أن الآبار كانت تشكل مصدراً مهماً لتجهيز الجيش بمياه الشرب، إذ ورد في أحد النصوص:".. **أنا أعطيت لقطعاتي الماء المسحوب من البئر**".

وفي ذلك إشارة إلى أن القطعات العسكرية كانت تقوم إما بحفر الآبار في الثكنات العسكرية المؤقتة التي تقيم فيها، أو تسلك الطرق التي تنتشر فيها الآبار، كما يتوضح ذلك في إحدى حملات الملك الآشوري توكلتي- ننورتا الثاني، إذ ذكر: "واجتزت وادي الثرثار، وأقمت المعسكر وأمضيت الليل، وفي اليوم الثاني وعند أحد الآبار كانت المياه مُرة جداً ولم تُلَبِ حاجة القوات.. تحركت .. وأقمت في مكان كانت مياه الآبار فيها وفيرة والماء كان يسحب منها طوال الليل والنهار.." [٢].

حيث بالغ الملوك الآشوريين في كتاباتهم بذكر الآبار حيث جاء: خرج توكولتي- ننورتا الثاني بحسب الحوليات من اشور في اليوم السادس والعشرين من نيسان وخيم في السهل الواقع شرقي الثرثار (tartaru)، وبعد عبوره وادي (نهر) الثرثار خيم ثانية واستقى الماء طوال الليل كما يفعل البستاني وفي اليوم التالي لم يشرب هذا الماء المر مطلقا اذ كانت مياه هذه الابار مرة لإسقاء الجنود على حد وصفه ثم قام بتدمير ٤٧٠ بئراً في الضواحي[٣].

وفيما يتعلق بالملك آشور اخي أيدينا (اسرحدون) وهو يتحدث عن إلهجوم الاخير الناجح على مصر عام ٦٧١ ق.م، فكرة عن المشاكل، فالملك يتحدث عن التقدم الى رفح بجانب وادي مصر (العريش حالياً)، حيث لم يكن هناك نهر، لذا كان عليه ان يستقي الماء لقطعانه من البئر بوساطة الحبال والسلاسل، وكانت وسائط نقله هي الجمال التي وفرها له حلفاؤه العرب، وقد وجد الرحلة فعلا مزعجة مسيرة ١٥ يوما خلال الكثبان الرملية ويومين خلال اقليم فيه هكذا يقول

---

(١) سفر، فؤاد وميسر سعيد العراقي، عاجيات النمرود، بغداد، ١٩٨٧، ص١٥.

(٢) عبدالرحمن، عبدالرحمن يونس، المصدر السابق، ص٥٧.

(٣) الجميلي، عامر عبدالله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، موصل، ٢٠٠٦، ص١١٦.

ثعابين برأسين قاتلة وهناك مسافات اخرى لقطعها، وتستغرق كلها شهراً ونصف، اذا كانت الارقام ترجمت بشكل صحيح(١).

كذلك يُعد أحد أنواع الغسل من البئر من الأغسال المقدسة عند الآشوريين حيث نجد ان ساحة القصر احتوت على بئر كان قد شيد في عصر الملك شروكين (الثاني) (سرجون الثاني) (٧٢٢-٧٠٥ق٠م) عمقه ٢٧,٥م ويعتقد أنه كان يستخدم للاغتسال كطقس من الطقوس الدينية، ويقع البئر في الجزء الشرقي من الساحة وقد عثر بجانبه على حمام تحتوي على مجاري لتصريف المياه(٢).

وجاء في نص يعود للملك سنحاريب: (ولأجل سحب الماء يومياً أمرت بعمل الحبال والأسلاك البرونزية والسلاسل البرونزية وثبت الأعمدة والقضبان العرضية على الآبار بدلاً من الأعمدة الخشبية)(٣).

٣-الآبار في العصور البابلية:

وفي قصر الملك نَبو-كُدُرُّ- أُصرُّ الثاني في بابل عثر المنقبون على بئر مائي كان يُعد واحداً من المصادر الرئيسة التي كانت تجهز القصر بالمياه. وعثروا أيضاً في بعض أقسام القصر على بئر مكونة من ثلاثة حفر يرجح أنها كانت تستخدم لرفع مياه البئر إلى الأعلى عن طريق دولاب خصص لهذا الغرض، وقد فسر المنقبون أن هذه المياه كانت ترفع لسقي الجنائن المعلقة، التي اشتهرت بها مدينة بابل.

وفي معبد شمش (Šamaš) في مدينة سبار عثرت فرق التنقيب على نماذج من الطابوق المستخدم في بناء المعبد مُثبت عليه أسماء بعض ملوك بلاد بابل، وعلى إحدى تلك النماذج كتابة تذكر بناء بئر المعبد من قبل الملك نبو- كد- أصر الثاني، ويبدو أن هذه الآبار كانت تتصل بأنابيب فخارية تستخدم على الأغلب لأغراض التجهيز وإيصال المياه إلى المرافق البنائية المطلوبة.

---

(١) الجميلي، عامر عبدالله نجم، المصدر السابق، ص٢٨.
وكذلك ينظر: الطائي، علي جبار عزيز مجيد، تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآشورية الحديثة ٩١١-٦١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، واسط، ٢٠١١، ص٤٠.

(٢) عبدالرزاق، سيف لقمان، تخطيط مدينة نينوى في ضوء المصادر المسمارية والمكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠١١، ص٦٣.

(٣) عبدالرزاق، سيف لقمان، تخطيط مدينة نينوى في ضوء المصادر المسمارية والمكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠١١، ص١٥٦.

ولابد من الإشارة بهذا الصدد إلى أن الآبار حسب طبيعة مياهها كانت على نوعين، الأول آبار ذات مياه عذبة وصالحة للشرب، والثاني آبار استخدمت مياهها لأغراض سقي المزروعات والحدائق والحقول الصغيرة.

ويعلل أحد الباحثين أن قلة المياه الصالحة للشرب كانت من الأسباب الرئيسة وراء حفر الآبار من النوع الأول بكثرة وانتشارها في بلاد الرافدين، فقد اقترن ذكر البئر بالبيوت، وكانت بعض البيوت يشترط في صلاحيتها للسكن احتواؤها على آبار للمياه كما يوضح ذلك النص الآتي: " **الرجلان اللذان أبقيتهما يجب أن يحفرا الآبار ويجب أن تكون الآبار وفيرة للسحب وبذلك يكون البيت صالحاً للسكن**".

ولا شك أن عملية حفر الآبار كانت تتطلب الخبرة والمهارة في الحفر وفي تحديد المواطن التي توجد فيها المياه الجوفية، وقد اختص بهذا العمل رجال أطلق عليهم اسم "حفاروا الآبار". وكان هؤلاء يتولون الحفر إلى مستوى المياه الجوفية، ثم تبدأ بعدها مرحلة بناء البئر من الداخل بالآجر المفخور الذي عُرف بـ (آجر البئر). ويبدو من تسميته أنه كان مخصصاً لبناء الآبار، وفضلاً عن ذلك فقد استخدموا القار والحلان أيضاً في تشييد الآبار وهما مادتان مقاومتان للرطوبة وذات مسامات دقيقة ساعدت في ترشيح المياه الجوفية داخل البئر(١).

كما يخبرنا الملك نبوكُدرُّي اصّر (نبوخذ نصر) الاول (١١٢٤ – ١١٠٣ ق.م) من خلال حملته الشهيرة على بلاد عيلام التي هدفت لأخذ الثأر لأكد ان المعركة بدأت من مدينة دير der (تل العقر في بدرة شرق العراق حالياً) في اشد اشهر الصيف حرارة وهو شهر تموز وقد عانى الجيش البابلي من الحر ونقص المياه كما يذكر النص انه: "مشى من مدينة الدير مدينة الإله انو مسيرة ٣٠ بيرو (ساعة مضاعفة = ٣٢٤ كم) من شهر تموز حيث بدأت الحملة [...] الفأس احترقت كالنار والطرقات احترقت كاللهب ولم يكن هناك ماء في الابار وتجهيز الشرب انقطع(٢).

سحب المياه من الآبار

تنوعت الآلات المستخدمة في سحب مياه الآبار فمنها الدلو والدالية والبكرة والناعور وغيرها حيث استخدمت مياه الآبار للأغراض منوعة منها الزراعية، وتختلف مصادر مياه السقي بالواسطة، وكانت الآبار واحدة من المصادر الرئيسية للسقي بالواسطة. والراجح أنها تغطي حاجات الحدائق والبساتين للماء، وبخاصة في المدن الشمالية حيث تتعذر طريقة الري السيحي.

---

(١) عبدالرحمن، عبدالرحمن يونس، المصدر السابق، ص٥٧.

(٢) الجميلي، عامر عبدالله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، موصل، ٢٠٠٦، ص٢٧.

ويقترن ذكر البئر بالبيوت حيث تبرز أهميتها لأغراض الشرب، وفي الملكية تحدد البئر ضمن ملكيات الدور أو الأراضي أو البساتين، وتشترك أحياناً مجموعة من الآبار لسقي مدينة " ما مجموعة ٣٢ بئراً تجهز المدينة بالماء " .

و" من الآبار في البستان، أعطي واحداً إلى (فلان) والبئر (الفلانية) أعطها (لفلان). البئر ذات المياه العذبة فتخصهما سوية، ويحق لكليهما شرب الماء منها ".

وكانت بعض البيوت يشترط لصلاحيتها للسكنى أن تحتوي على آبار، فـ " الرجلان اللذان أبقيتهما، يجب أن يحفرا الآبار، ويجب أن تكون الآبار وفيرة الماء للسحب، وبذلك يكون البيت صالحاً للسُكنى "[١].

كما استخدمت الآبار في ورود الحيوانات فقد ورد ذلك منذ الألف الأول قبل الميلاد حيث قص لنا القرآن قصة نبي الله موسى عليه السلام عندما هرب من فرعون وقومه إلى مدين لأن فرعون لم يكن له سُلطان على أهل مدين[٢]، وفي طريقهِ وجد امرأتين لم يسقيا أغنامهما وأبوهما شيخ كبير السن فقام نبي الله موسى بسقي الأغنام من ذلك البئر فقد قال تعالى بشأن ذلك: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ {٢٣} فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[٣].

أنواع الآبار

تقسم الآبار إلى نوعين فمنها آبار ذات مياه عذبة صالحة للشرب، وأخرى صالحة لسقي المزروعات، فقد يؤدي حفر بئر الوصول إلى مياه مالحة لا تصلح حتى لسقي المزروعات " إذا في أرض غير مزروعة حفرت بئراً، وخرج ماؤها مالحاً "، لذلك أصبحت عذوبة مياه بعض الآبار سبباً لشهرتها وكنيتها ومنها " البئر العسل " كما تختلف الآبار في حجومها وبالتالي وفرة ماؤها، فمنها الصغير بحدود حاجة بيت للشرب، ومنها الكبير ذات الشهرة التي جعلها عَلَماً[٤].

---

(١) الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الري، سومر، م٣٩، بغداد، ١٩٨٣، ص٧٤.

(٢) الأشقر، محمد سليمان عبدالله، التفسير الميسر، ط٦، الأردن، ٢٠١٢، ص٣٨٨.

(٣) سورة القصص، آية: ٢٣-٢٤.

(٤) الهاشمي، المصدر السابق، ص٧٤.

الآبار في التاريخ الإسلامي

بئر زمزم:

إن الحديث عن الآبار في التاريخ الإسلامي وأنواعها يطول في هذا المقام إلا إننا نقتصر في هذا البحث عن الحديث فقط عن بئر زمزم حيث يُعد بئر زمزم من الآبار القديمة والمهمة في التاريخ القديم والإسلامي والذي يعود زمنه إلى الألف السابع عشر قبل الميلاد أي: إلى زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث أن لهذا البئر حدث عظيم وسنقتصر على موضوع حفرها وتجديد ذلك الحفر وبيان فضلها من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة.

حفر بئر زمزم:

قال مالك: رأى عبد المطلب أنه يقال له: احفر زمزم لا تنزف، ولا تذم بين فرث ودم، يروي الحجيج الأعظم في موقع الغراب الأعصم، قال: فحفرت.

قال محمد بن رشد: قد جاء في الحديث الصحيح: «أن إبراهيم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما كان بينه وبين أهله ما كان، خرج بابنه إسماعيل وأمه، ومعهم شنة فيها ماء، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، فجعلت تشرب من الشنة، ويدر لبنها حتى لما فني الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا، فصعدت على الصفا، فنظرت فلم تر أحدا ثم هبطت، فلما صارت في الوادي، رفعت ذراعها، فسمعت سعي الإنسان المجهود، ثم صعدت على المروة فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرات، وابنها يتلوى من العطش، فلما كانت في آخر ذلك سمعت، فأصغت إليه فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواثا، فإذا بجبريل – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: فقال هكذا، فاندفق الماء، فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تخفق، قال: فقال أبو القاسم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: لو تركته كان الماء ظاهرا، أو لكانت زمزم عينا معينا»، فيحتمل أن يكون بعد ذلك قد رفعت السيول بلقاء الرمل والتراب حتى انطمس وعفا أثره(١).

تجديد حفر بئر زمزم:

إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أمر بحفر زمزم، فلما بين لعبد المطلب شأنها، ودل على موضعها، غدا بمعوله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره، وقام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جده، فقالوا: والله لا نتركك تحفر عند وثنينا هذين اللذين فنحر عندهما إساف ونائلة. فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذد عنى حتى أحفر، فو الله لأمضين لما أمرت به.

---

(١) القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: د محمد حجي وآخرون، ط٢، ج٣، بيروت، ١٩٨٨، ص٤٦٣– ٤٦٤.

فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه بين الحفر، وكفّوا عنه. فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدائه الطى، فكبر وعرف أنه قد صدق. وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة:

حفر عبد شمس بن عبد مناف «الطوى»، وهى البئر التي بأعلى مكة، عند دار محمد بن يوسف الثقفي.

وحفر هاشم بن عبد مناف «بذر»، وهى البئر التي على فم شعب أبى طالب.

وحفر أمية بن عبد شمس «الحفر» لنفسه.

وحفرت بنو أسد بن عبد العزى «سقية» .

وحفرت بنو عبد الدار «أم أحراد» .

وحفرت بنو جمح «السنبلة» .

وحفرت بنو سهم «الغمر» .

فعفت زمزم على البئار التي كانت قبلها، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها، وعلى سائر العرب(١).

الأحاديث الواردة في فضلها:

أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بأن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٢). فحدث نبينا محمد ﷺ عن بئر زمزم بأحاديث كثيرة ورغب بالشرب منها:

أولاً: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " خير ماءٍ على وجه الأرض ماءُ زَمزم، فيه طعامُ الطُّعم، وشفاء السُّقم، وشرُّ ماءٍ على وجه الأرض ماءٌ بوادي (بَرَهوت)، بقبة بـ (حضرموت)، كرِجلِ الجراد، تُصبح تَنْدفق، وتمسي لا بَلالَ فيها"(٣).

ثانياً: عن جابر؛ أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: " ماء زمزم لما شرب له"(٤).

---

(١) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، ج١، مؤسسة سجل العرب، ١٩٨٥، ص٢٠.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٣.

(٣) رواه الطبراني في " الكبير"، ورواته ثقات، وابن حبان في "صحيحه".

ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض، ٢٠٠٠، ص٤٠.

(٤) رواه أحمد وابن ماجه، وإسناده حسن

ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض، ٢٠٠٠، ص٤١.

ثالثاً: التبرّك بشرب ماء زمزم؛ لأنه أفضل مياه الأرض، ويُشبع من شربه، ويكفيه عن الطعام، ويُستشفى بشربه مع النية الصالحة من الأسقام؛ لأنه لما شرب له؛ قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في ماء زمزم: ((إنها مباركة، إنها طعام طعم [وشفاء سقم])) (١).

رابعاً: ويذكر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ((كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، فكان يصبّ على المرضى ويسقيهم)) (٢).

خامساً: «أتيت ليلة أسري بي فانطلق بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزل»(٣).

سادساً: « إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم»(٤).

سابعاً: "أن زنجيًا وقع في زمزم فمات قال: فأنزل إليه رجلاً فأخرجه ثم قال: « انزفوا ما فيها من ماء» ثم قال للذي في البئر: « ضع دلوك من قبل العين التي تلي البيت أو الركن فإنها من عيون الجنة »"(٥).

ثامناً: في قصة إسلام أبو ذر قال: "وجاء رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتى استلمَ الحجرَ وطاف بالبيتِ هو وصاحبُه ثم صلى، فلما قضى صلاتَه، قال أبو ذرٍّ: فكنتُ أنا أولُ من حيَّاهُ بتحيةِ الإسلامِ قال فقلتُ: السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ! فقال: « وعليكَ ورحمةُ اللهِ »، ثم قال: « من أنت؟» قال قلتُ: من غفارٍ، قال: فأهوى بيدِه فوضع أصابعَه على جبهتِه فقلتُ في نفسي: كرِهَ أن انتميتُ إلى غفارٍ فذهبتُ آخذُ بيدِه فقد عني صاحبُه وكان أعلمَ بهِ مني، ثم رفع رأسَه ثم قال: «متى كنتَ ها هنا؟» قال قلتُ: قد كنتُ ها هنا منذ ثلاثينَ، بين ليلةٍ ويوم قال: « فمن كان يُطعمك؟» قال قلتُ : ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزمَ فسمنتُ حتى

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر– رضي الله عنه– ٤/ ١٩٢٢، برقم ٢٤٧٣.

(٢) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٢، الرياض، ١٩٩٥، ٢/ ٨٨٣.

(٣) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الاسلامي، مجلد١، رقم:١٣٠.

(٤) البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مجلد٨، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣، رقم: ٦٠٣٦ ، ص٤٣٨.

(٥) العبسي، أبو بكر بن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، الرياض، ١٩٨٧، (١٥٠/١).

تكسر تُعُكَنُ بطني وما أجدُ على كبدي سُخْفَةَ جوعٍ، قال: « إنها مباركةٌ إنها طعامُ طُعْمٍ»"[١].

الخاتمة:

نختم هذا البحث بموجز مهم ألا وهو أن الآبار هي رافد مهم من روافد الحياة في مختلف المجالات قديماً وحديثاً فهي تغذي جميع الأحياء من انسان وحيوان ونبات، فالماء سر الحياة ولولاه لعُدِمتِ الحياة لذا فالآبار تؤدي دوراً عظيماً كون الناس في القدم ليس لهم آلات متطورة لاستخراج الماء فكانت الأشياء عندهم بدائية بسيطة يستخدموها لسد حاجاتهم المعاشية فقط.

فاحتاج الانسان الى حفر تلك الآبار للشرب والطهي ولسقي المزارع لغرض سد حاجتهِ من الطعام، وورود الحيوانات، واضطر الى استخدام تلك الآبار أحياناً حتى وهو ساكن بالقرب من الأنهار في أوقات الحروب خشية أن يناله العدو وهذا ما نشاهده في العواصم الآشورية الكبرى كآشور ونينوى ويؤيد ذلك ما حصل لأهل نينوى في الوقت الحاضر وتحديداً عام ٢٠١٤-٢٠١٧ .

(١) صحيح مسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: د محمد حجي وآخرون، ط٢، ج٣، بيروت، ١٩٨٨.
- الشرابي، نهال خليل ويعرب ياسين ابراهيم، آبار المدينة المنورة، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد ١٨، عدد ٦، ٢٠١١.
- عبدالرحمن، عبدالرحمن يونس، المياه في حضارة بلاد الرافدين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، موصل، ٢٠١٠.
- الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكدية– العربية، ط١، أبو ظبي، ٢٠١٠.
- الجبوري، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة، موصل، ٢٠٠٦.
- سفر، فؤاد وميسر سعيد العراقي، عاجيات النمرود، بغداد، ١٩٨٧.
- الجميلي، عامر عبدالله نجم، المعارِفُ الجُغرافيّة عِندَ العِراقيّينَ القدماءِ، موصل، ٢٠٠٦.
- عبدالرزاق، سيف لقمان، تخطيط مدينة نينوى في ضوء المصادر المسمارية والمكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل، ٢٠١١.
- الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الري، سومر، م٣٩، بغداد، ١٩٨٣.
- الأشقر، محمد سليمان عبدالله، التفسير الميسر، ط٦، الأردن، ٢٠١٢.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض، ٢٠٠٠.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٢، الرياض، ١٩٩٥.
- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، ج١، مؤسسة سجل العرب، ١٩٨٥.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الاسلامي، مجلد١، ٢٠١٠.
- العبسي، أبو بكر بن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، ١٩٨٧، (١٥٠/١).
- البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مجلد٨، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣، رقم: ٦٠٣٦ .
- الطائي، علي جبار عزيز مجيد، تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآشورية الحديثة ٩١١–٦١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، واسط، ٢٠١١.